

## تطبيق بديعي (الجنس):

يعرف الجنس لدى البلاغيين بأنه : اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع الاختلاف في المعنى للجنس وظيفتان من ناحية الشكل والمضمون، فهو شكلاً يزيد من الناحية الإيقاعية والنغمية ، أما مضموناً فيزيد من الانسجام بين المعاني وذلك عن طريق الأسلوب السلس والمحبب خروجاً عن المألوف مما يحدث الدهشة والاعجاب والنشوة في ذهن المتلقى أو المخاطب.  
وعن سبب تسميته بالجنس يقول ابن الأثير "، وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجازاً ، لأن حروف الفاظه يكون تركيبها من جنس واحد.

وهكذا يكتسب الجنس أهمية بارزة ، تتأتى أهميته من المنحى الجمالي الذي يضيفه على النص فهو " من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بلية، تجذب السامع وتحدى في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنعمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة ، فتجد في النفس القبول ، وترتاثر به أي تأثير ، وتقنع في القلب احسن موقع" وللجنس أنواع كثيرة يستعملها نجلمها جميعاً ثم نقوم بتفصيلها لاحقاً وهي على النحو الآتي:  
أولاً: الجنس التام : وينقسم على نوعين : الجنس التام المماثل ، والجنس المستوفي.

ثانياً: الجنس المعكوس : ويتم بنوعين هما : عكس الألفاظ، وعكس الحروف، ونرى الجنس المعكوس نادر الاستعمال وينحصر إلى درجة كبيرة ولن نقف عنده.

ثالثاً: الجنس غير التام (الناقص) : ويتألف من أنواع هي : جنس الترجيع، وجنس التصريف، وجنس قلب البعض ، والجنس اللفظي، الجنس المحرف، والجنس المزدوج ، والجنس المصحف.

ويلحق هذه الأنواع من الجنس نوعين آخرين هما :

- ١ - جنس الاشتراق : ويضم نوعين هما : جنس الاشتراق المماثل، وجنس الاشتراق المغایر.
- ٢ - الجنس المشابه: ويضم نوعين أيضاً هما : الجنس المشابه المماثل، والجنس المشابه المغایر.

أولاً: الجنس التام : وهو أن يتفق اللفظان " في أنواع الحروف وأعدادها وهياكلها وترتيبها" ومن الآيات التي تضمنت الجنس التام

**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي  
قُلْ وَيَكُمْ خَيْرًا يُؤْتُكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ  
رَحِيمٌ** ، فالجنس التام المفرد يتمثل في لفظي (خيرا ، خيرا) وهو  
جنس بين اسمين فاللفظتان وردتا متماثلتين في الحروف غير  
أنهما أدت معنى مختلفا داخل سياقها فأغنت النص بمعانٍ أنفقت  
التعبير عن الرتابة، وحولت ذهن المخاطب إلى تخيل جمال الدلالة  
وعذوبتها. وكل ذلك جاء بفضل وجود الجنس التام . وقد أفاد  
الجنس في هذا التعبير غرض التوكيد أي توكيده الخير في نفوس  
مخاطبيه.

**ثانياً: الجنس غير التام (الناقص)**:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأنواع المذكورة آنفاً (أنواع الحروف وأعدادها وهياكلها وترتيبها). ومن أشكال الجناس غير التام: جناس الترجيع ، وجناس التصريف، وجناس قلب البعض، والجناس اللفظي، والجناس المحرف، والجناس المزدوج ، والجناس المصحف وسنن تعرض إلى أكثر هذه الأشكال دوراناً في بحثنا موضعين قيمتها الأسلوبية داخل السياق الذي ظهرت فيه من ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَمْتَ رَبِّي لَنْفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلْمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا﴾ فالجناس غير التام (الناقص) يتمثل في لفظتي (مداداً) و (مداداً) وهي جناس الترجيع المكتتف فالطرف الأول هو لفظة (مداداً) ، وهي هنا بمعنى البحر الذي تمد به الدواة، في حين جاءت لفظة (مداد) في الطرف الثاني بمعنى الزيادة واللفظتان على الرغم من اتحادهما في الجذر اللغوي لكل منها إلا أنها تختلف من ناحية الدلالة التي وردت فيها. فالمفارقة حصلت بين لفظة (مداد) وعدلت عنها إلى لفظة (مداداً) لتحقق قفزة أسلوبية تعبيرية في الإداء.

فجاء الجناس المكتتف ليحقق وحدة موسيقية وترجيعاً نغمياً بفضل  
تشابه الحروف بين اللفظتين وليمنح النص عمقاً دالياً عن طريق  
اختلاف المعنى في كل منها والعلاقة عكسية قائمة على التضاد بين  
حركة الامتداد لماء البحر وكتابة كلمات الله من غير توقف، فلا  
تنتهي هذه الكلمات إلا بنهاية ماء البحر ونفاده، في حين جاء بلفظة  
(مدادا) الدالة على الزيادة غير أنها ضئيلة جداً أمام علم الله وقدرته.  
هذا على نطاق الدلالة، أما على نطاق الناحية الصوتية فهناك  
تنوع في الزمن الإيقاعي للظفتين، لفظة (مدادا) أطول من الزمن  
الإيقاعي لكلمة (مداداً) تواشجاً مع متطلبات الدلالة "فالبحر كل  
مكان جامع للماء الكثير وهنا جاء مثلاً للمداد فاحتاج إلى هذا  
الزمن الإيقاعي والطويل بما ينسجم مع المعنى أما المدد فهو دال  
على الزيادة ولكن إزاء كلمات الله فهو ضئيل جداً فجاء الزمن

الإيقاعي أقصر معبراً عن أنّ هذه الزيادة في المداد متناهية أما علم الله فهو غير متناه".

ومن الآيات الأخرى التي تضمنت الجنس غير التام (الناقص) قوله تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ فنرى الجنس بين (غوى) و(هوى) وهو جنس التصريف المضارع فاللقطتان متشابهتان في حروف الواو والالف، ومختلفة في حرفي (الغين) و (الهاء) هذا التقارب بين اللقطتين قد أفاد شيئاً من كسب انتباه المخاطب فضلاً عن الإيحاء الذي غلب التعبير كذلك التضاد القائم بين تنوع حرفي الغين والهاء في اللقطتين ، غير أننا نجد أن دلالة كل منها متقاربة في معناها لفظة (غوى) بمعنى الضلال المؤدي إلى فساد الرأي وتعلقه بالباطل.

أما لفظة (هوى) فهي بمعنى: الباطل واللغو في القول وهكذا نرى التقارب الكبير في المعنى بين اللقطتين على الرغم من اختلاف الحروف والهيئة . فالقيمة الأسلوبية تتوضّح في أنّ الجنس جاء لغـ رض وافـ سادة التوكـ د فالرسـ ول محمدـ - لم يأته الضلال والباطل ، بل جاء بالمحجة البيضاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فالجنس المضارع أدى سمة أسلوبية تعبرية قائمة على المفاجأة والدهشة في تخيل المخاطب.

ونرى الجنس غير التام (الناقص) أيضاً في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بَلَغَ مِنْ اللَّهِ وَرْسَلَتِهِ وَمَنْ يَغْصُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوَعَّدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَّ فَنَاصِرًا وَأَقْلَلَ عَذَّابًا﴾ قُلْ إِنَّ أَذْرِي أَقْرِيبٌ مَا تُوَعَّدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ فالجنس هنا نلمسه في لفظتي (ابداً، امداً) اذ اتفق الوزن واختلف الترکيب بحرف واحد وهو من جنس التصريف المضارع ، وقد افاد هذا الجنس ناحية دلالية أكثر منه في الناحية الصوتية ، ويمكن لنا أن نعدل بالفاظ بديلة إلا أنها لاتمنح النص القيمة الأسلوبية المتأتية من إستعمال لفظتي (ابداً، واماًداً) فلكل منها دلالتها التي تختلف عن الأخرى، لفظة (ابداً) تعني مدة الزمان الممتد الذي لا يتجرأ أي دلالة الخلود والدوم. أما لفظة (اماًداً) فتعني مدة لها حد مجھول على اعتبار الغاية.

ونجد الجنس غير التام (الناقص) أيضاً في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءُهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ ...﴾ فالجنس التام يتمثل في لفظتي (أمر) و(أمن) ، واتفاق الوزن واختلف الترکيب بحرف واحد هو حرفـي (الراء والنون) ، وهو من جنس التصريف المضارع، ونرى اللقطتين على الرغم من التقارب الصوتي في حروفهما إلا أن الدلالة تختلف من لفظة إلى أخرى ، لفظة (أمر) تعني الشأن ، وهي هنا بمعنى الخبر بقرينة الفعل

(أذاعوا به) ، أما دلالة (أمن) فهي الطمأنينة المؤدية إلى السكون وهذا عمل الجناس المضارع على العدول باللفظ من معنى إلى آخر لتصوير حالة العتاب الذي خاطب بها الباري - رَبِّكُمْ - للMuslimين بسبب تسرعهم في إذاعة الأخبار، هذا الأمر عبر عنه التعبير القرآني أصدق تعبير بفضل وجود الجناس المضارع بين اللفظتين وهي سمة أسلوبية ذات قيمة فنية واضحة تتميز بالنفرد والإبداع .

ونصل في الحديث عن الجناس غير التام (الناقص) إلى قوله تعالى ﴿ مَا أَنْتَ بِنْعَمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأْجَرًا غَيْرَ مَغْنُونٍ ﴾ فالجناس في الآيات الكريمة يظهر في قوله (مجنون - ممنون) وهو جناس التصريف اللاحق ، فقد تمثل اللفظان واتفاقا في الوزن واختلافا في التركيب بحرف واحد هو (الجيم) و(الميم) ، فعدل التعبير إلى معنى معاير المعنى السابق يؤكد ذلك دلالة اللفظتين، فضلا عن الطبيعة الموسيقية لكل منها فاللكلة الأولى (بمجنون) ذات موسيقى قوية مدوية بفضل قوة حروفها وشدة انتشارها عن فطاعة وشناعة ما ادعوه في رسولهم الكريم - رَبِّكُمْ - والصاق صفة الجنون ليتواشج مجيء الحروف الشديدة مع إيراد التعبير بصيغة النفي لينفي عن رسوله هذا الافتراء ، يقابل ذلك تضاد واختلاف في اللكلة الثانية (ممنون) إذ جاءت حروفها سهلة لينية لتمثيل النص نغمة محببة في النفوس تستاذ لسماعها. فانتقل التعبير من سياق القوة والشدة في الطرف الأول إلى سياق اللين والسهولة في الطرف الثاني عبر تماوج في الحركة والنغم.

فالخصيصة الأسلوبية في النص الكريم ظهرت في هذه الانتقالات على صعيد الدلالة والصوت لتؤكد المعنى المطلوب من الآية ، فالتماثل والتقارب بين حروف الكلمتين منح النص دفقة موسيقية تعبيريا زاد من ثراء المعاني ، وزرع في نفس المخاطب الهرزة والدهشة والإعجاب.

كمارأينا الجناس غير التام (الناقص) يتحقق في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، فنرى الجناس يظهر بين لفظتي (ظلمون) و(تظلمون) وهو جناس مزدوج ، فالطرف الأول وهو لفظة (ظلمون) الحركة، أي جناس مزدوج ، جاءت بفتح التاء، أما الطرف الثاني (تظلمون) فجاءت بضم التاء، وهنا يلعب الجناس تأثيره في خروج اللفظ من معنى إلى معنى آخر ينافق المعنى الأول على الرغم من تطابق اللفظتين شكلاً وعدد أحرف ، فقد منح النص عنوبة موسيقية عن طريق الترجيع النغمي الذي مثل ملحاً أسلوبياً جاء عن طريق تكرار اللكلة نفسها. وهنا رأينا أن " الحركة بين لين (الفتحة) وشدة (الضمة) جاء منسجما

مع المعنى فظالم الإنسان لغيره يكون أخف وطأة على الظالم، من وقوع الظلم على النفس من غيره فعادل الجناس بيقاعه بين الطرفين، فوجود الطرف الأول وتحقق العدل فيه أساس لوجود وتحقق العدل في الطرف الثاني على نحو متوازن، وهذه هي سنن العدل" فالجناس مثل عدول في المعنى بين اللفظتين على الرغم من التشابه الذي يجمعهما ، وهي خصيصة أسلوبية ذات أبعاد فنية كبيرة. ومن الآيات التي حوت الجناس غير التام (الناقص) هي : **وقال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَبِ ...﴾** فالناظر إلى النص الكريم يلمس " الجناس المحرف حاصل بين الطرف الأول (آمنوا) بفتح الميم بمعنى التصديق الذي معه آمن والطرف الثاني (آمنو) بكسر الميم بمعنى الثبات والدوام، بلفظتين متساويتين في اللفظ مختلفتين في الوزن" وهو جناس محرف باختلاف الحركة أي جناس مزدوج، وهذا التطابق بين اللفظتين أفاد شيئاً من كسب انتباه المتلقى، فالظاهرة الصوتية هنا خدمت الدلالة فأفاد الاقتران اللفظي بين الكلمتين أفاد غرض التوكيد لوجوب الإيمان بالله والرسول والكتاب مما منح النص القرآني سمة أسلوبية خلقة تعديل فيه إلى معانٍ متعددة وتؤوليات مختلفة يمكن أن يتصورها المخاطب عبر التخيلات التي يستحضرها في تلقي النص. فعمل الجناس المحرف على إبراز إيقاع " متراوح من لين إلى شدة لاختلاف درجة الإيقاع باختلاف حركة الميم (الفتحة) في الطرف الأول (آمنوا) بما ينسجم مع دلالة الإيمان العامة وحركتها في الطرف الثاني الكسرة (آمنوا) بما ينسجم مع الشدة المتأتية من صيغة الأمر الآلهي" ، فاختلاف الحركة أدى إلى اختلاف الدلالة جعلها أكثر إيحاءً في تحقيق الغرض المطلوب من النص عبر الخصائص الصوتية التي حملها.

ويلحق بأنواع الجناس المذكور آنفاً أنواع أخرى هي :

#### ١ - جناس الاشتقاد

وهو أن يجمع اللفظين أصل واحد في الاشتقاد أو " ماتجنس رکناه في الأصل واختلفا بالهيئة إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاد مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين" ويفقسم على قسمين : جناس الاشتقاد المماثل، وجناس الاشتقاد المغاير، وسنبدأ بالمماثل من ذلك قوله تعالى **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عَبَادِي عَنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾**. فنرى جناس الاشتقاد المماثل بين لفظتي (دعوة) و(داع) وقد اشتقا من اصل لغوي واحد هو (داع).

فضلاً عن اجتماع أصوات المد الطويلة المفتوحة والمكسورة والمضمومة لتضفي نغماً جميلاً ومحبباً، فالنص الكريم اشتمل على

أسلوب رقيق وعذب عن طريق الإيقاع البطيء فتزرع في نفس الداعي الطمأنينة والسكينة والرحمة ، وكل ذلك يقرب المسافة بين الرب الكريم والعبد الداعي والطامع برحمة خالقه فنلاحظ التواشج الواضح بين اللفظة المستعملة ودلالتها التعبيرية . وكل ذلك جاء بفضل وجود جناس الاشتراق المماثل ومن ذلك قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِلْإِيمَانَ أَنْ آمَنُوا بِرِبِّكُمْ فَأَمَّا رَبُّنَا فَاغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِرْنَا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ .

فالجناس هنا جناس الاشتراق المغاير وقد تمثل في لفظتي (منادي) وهو اسم فاعل، ولفظة (ينادي) وهو فعل مضارع واللفظتان اشتقتا من (النداء) والمنادي: هو الذي يرفع صوته بالكلام وقد حلل القاسمي القول في هذا النص فقال " لما فيه من الإيذان برفع الصوت (ينادي للإيمان) أي لأجل الإيمان بالله فإن قلت : فأي فائدة في الجمع بين (المنادي) و(ينادي)? قلت : ذكر النداء مطلاقا، ثم مقيدا بالإيمان، تخيماً لشأن المنادي، لأنّه لامنادي أعظم من منادي ينادي للإيمان" .

فمثل الجناس ملحاً أسلوبياً أدى المعنى بأوجز عبارة ومنح المتكلمي آفاق رحبة في تخيل دلالة العبارة وليكرس النص تكييف في المعنى عبر صيغة الإيمان وماتوحيه في النفس بالتأمل والتدبر والوقوف عند حدود التعبير الكريم وخصائصه الصوتية فالتقارب الصوتي بين اللفظتين والترديد النغمي للألفاظ كانت لغرض مهم أفاد التوكيد أي تأكيد علو صوت المنادي عند ذكر الإيمان وتواتره.

وقال تعالى ﴿ وَاثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَيْ أَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لِأَقْتَلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ جناس الاشتراق المغاير يتمثل في قوله (قربا) وهو فعل اشتق من القربات ويعني الوسيلة التي يطلب بها القرابة عند الله - ﷺ - ، غير أن التعبير لم يفصح عن بيان أي نوع للقرابة فيه، فذكر في الطرف الآخر قوله (قربانا) وهو اسم جنس اشتق من (قرب يقرب) فعمل الجناس على إحداث تردد صوتي من خلال تكرار حروف القاف والراء والباء لتصور المعنى باجمل صورة فوردت لفظة (قربانا) وأفادت غرض التوكيد ، وليوحى اللفظ بذلك القربان الذي ورد في قصة قابيل وهابيل وليفصح عن شحنة أسلوبية فنية لاتتأتى لولا وجود جناس الاشتراق المغاير وقال تعالى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَارُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَنِفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ .

فالمتفحص للنص يطالع جناس الاشتراق المغاير بين لفظتي (البصائر) و(أبصر) وملحوظة مناسبة في الأ بصائر والبصائر

فوردت لفظة (بصائر) وهي اسم عبارة عن جمع بصيرة وهي عقيدة القلب والمعرفة الثابتة باليقين .

فالتواشج بين اللفظتين كان على الصعيدين الصوتي والدلالي ، إذ توحى هذه الألفاظ بالنور الذي رافق مجيء الإسلام ورسوله ، وهذا النور لا يتعمن في أسراره إلا من له بصيرة وعقل ، ومعرفة ترشداته إلى المنهج القويم ، فجناس الاشتراق المغاير دلل على السمو المعنوي الذي يتواشج مع السمو المادي في معرفة هذه البصائر وفهمها وهو ملمح أسلوبي عبر عنه النص الكريم وقال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ الْقَيْمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمًا ذِي يَصَادْعُونَ﴾ ، وقد اكتفى الطاهر بن عاشور في توضيح الجناس في الآية الكريمة بقوله " وبين (اقم) و(القيم) محسن الجناس" .

فالقيمة الأسلوبية تستحضر بوجود الظاهرة الصوتية للنص وعمق الدلالة المنبعثة منها ليخرج جناس الاشتراق المغاير بالتعبير عن حدوده الطبيعية ويعدل به إلى معانٍ ودلالات مختلفة لا تحددها حدود .

وجملة القول في هذه النصوص والنصوص الأخرى من الآيات القرآنية الكريمة أن نسبة جناس الاشتراق المغاير أكثر منه عند النوع الآخر (المماثل) . مما منح التعبير الكريم سمة الابداع والخلق والابتكار في إيجاد دلالات مختلفة .

## ٢- الجناس المشابه :

وهو " أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتراق، ذلك بان يوجد في كل اللفظين جميع ما في الأخرى من الحروف أو أكثرها لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتراق" وقد انحصر هذا النوع في بحثنا إلى حد التندر وذلك في قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ ...﴾ فالمتعمن في النص الكريم يلمس مجيء " الجناس هنا باللفظين (حاجك) و( جاءك ) ، فقد أفادت الأولى دلالة معنوية على من يحتاج من النصارى في عيسى - عليه السلام - وأما الثانية فقد أفادت دلالة معنوية على المجيء بالبيانات الموجبة للعلم والبيان" فالجناس عبر عن حالة متماثلة إلى حد ما موسiquia عبر تشابه الحروف وحالة متغيرة في دلالة لفظهما ، ليؤلف صورة تعبيرية ذات ملامح أسلوبية كبيرة تعمل على خلق الدهشة والإعجاب في نفس المتذوق لها ، وكل ذلك قد حصل بسبب وجود الجناس المشابه، وتدفعه بهذه الحيوية الإيحائية في النص .